

## كيف تختار مهنتك؟

خلق الله الخلق مختلفين: في أنفسهم، وفي قدراتهم، وفي أعمالهم: لستقيم الحياة، ويخدم بعضهم بعضاً. قال الله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسْمَنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَخَذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

والرّزق يختلف من بيته إلى بيته، وهو مقاومٌ بين الأفراد. والبشر مسخر بعضهم لبعض؛ الفقير مسخر للفني، والغبي مسخر للفقير... يقول الرّسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ-: أعملوا فكلّ ميسّر لما خلق له. ولو عمل الناس كلّهم في مهنة واحدة: لتعطلت بقية مصالحهم، ولكن الله سخر بعضهم لخدمة بعض؛ وهذا يأتي من اختلاف المهن والأعمال؛ فالمزارع، على سبيل المثال، يحرث ويأكل من زرعه غيره من خباز، ومعلم، وطبيب... وغيرهم، وهؤلاء بدورهم يخبّزون له، ويعلمون أطفاله، ويعالجون المريض من أسرته، وهكذا.

كان الشباب في الماضي يتّعلّمون مهن آبائهم في الغالب؛ حتّى إذا كبروا عملوا في هذه المهن؛ ولذا كان يغلب على بعض الأسّر الارتباط بمهنة معينة، حتّى إنّهم قد يسمون (يعرّفون) بها.

أما في العصر الحاضر، فقد تغير الأمر، وأصبحت أغلب المهن والأعمال مرتبطة بالحكومات، أو الشركات الكبيرة. ويواجه الشاب في أول حياته مسكلة اختيار المهنة التي يرغب فيها، بعد انتهاءه من الدراسة. وهذا قرار صعب، يحتاج إلى تفكير؛ لأنّ له آثاره المادية والنفسيّة على الشاب في مستقبل حياته، فكيف يختار الشاب مهنته؟

يبغي أن يعرف الشاب أين يضع قدمه، قبل أن يختار لنفسه مهنة يعمّل فيها، ويكتب عيشه منها. ينبغي أن يعرّف على صفات نفسه، وما لديه من نواحي القوة والضعف، وأن يتأكد من ميلوله، ويعرف ما يحب من المهن، وما يكره. وإن صدق الإنسان مع نفسه، يعيّنه كثيراً على اختيار مهنة المستقبل، وهو مطمئن إلى حسن الاختيار. وبعد أن يتعرّف الشاب إلى نفسه وصفاته، يبغي عليه أن يتعرّف عدداً من المهن؛ ليختار منها ما يناسبه. وهذا أمر ليس سهلاً، فربّما لا يجد المهنة التي تكون مناسبة له ولقدراته، ولاستعداداته، وقد يجد الكثير من المهن مناسبة لميلوله ورغباته. لكي يصل الشاب إلى قرار سليم، يجب أن يكون مرتناً، وأن يدرك أنه يُسْتطيغ أن يُتقن مهنة معينة أكثر من سواها، وأن هناك مهناً آخر لا يقدر على إتقانها.

يحتاج الشاب إلى التدريب على المهنة، التي يعتقد أنها تناسبه، وإلى اكتساب الخبرة فيها، حتّى يحصل على المهارات الأساسية، والمعلومات الخاصة بها، بطريقه عملية، وبذلك يُعد نفسه للمهنة إعداداً كافياً. وتكثر المنافسة أحياناً حول بعض المهن دون بعضها الآخر. وبعض المهن لها بريق، غير أنّ أجر العاملين فيها قليل، فيجب أن يكون الشاب على علم بذلك، حين يختار مهنته، وأن يعرف ميزات المهنة الحقيقية. والشاب الذي يُعرف نفسه حق المعرفة، ويعرف الأعمال المختلفة، يُصبح قادراً على اختيار ما يناسبه من المهن، فيجيء اختياره قريباً من الصواب.

وعلى كلّ شاب أن يدرك أن الصفات الشخصية تنمو، وأن الشاب قد يتغيّر في نفسه، ويتبّع ذلك اختلاف رغباته وميلوله، نتيجة لخبرة جديدة اكتسبها، أو تقاقة حصل عليها، أو معاشرته أنساناً لم يعاشره من قبل.

وهكذا ندرك أن من الخبر للشاب في أشاء دراسته أن يهتم كثيراً بالدرس والتّحصيل، قبل أن يصل إلى مرحلة اختيار المهنة، وأن يضع لنفسه خطوة مرتدة، تسمح له بالتغيير والتّصرف، حسبما يكتسب من خبرة وعلم.

## بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ رضي الله عنه

بِلَالٌ بْنُ رَبَاحٍ - رضي الله عنه - مُؤْذِنُ الرَّسُولِ ﷺ سِيرَةُ مِنْ أَرْوَعِ سِيرِ النَّضَالِ فِي سَبِيلِ الْعِقِيدَةِ، وَقِصَّةٌ لَا يَمْلُأُ الزَّمَانُ مِنْ تَرْدِادِهَا، وَلَا تَشْبَعُ الْآذَانُ مِنْ سِحْرِ نَشِيدِهَا.

وُلِدَ بِلَالٌ فِي السَّرَّاَةِ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِنَحْوِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، لَأَبٍ كَانَ يُدْعى «رَبَاحًا»، أَمَّا أُمُّهُ فَكَانَتْ تُدْعى «حَمَامَةً».

نَشَأَ بِلَالٌ فِي أُمِّ الْقُرْبَىِ، وَكَانَ مَمْلُوكًا لِأَيْتَامٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، أَوْصَى بِهِمْ أَبُوهُمْ إِلَى أُمِّيَّةِ بْنِ خَلَفٍ أَحَدِ رُؤُوسِ الْكُفَّارِ.

وَلَمَّا أَشْرَقَتْ مَكَّةُ بِأَنوارِ الدِّينِ الْجَدِيدِ، وَهَنَّافَ الرَّسُولُ الْأَعْظَمُ ﷺ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، كَانَ بِلَالُ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَى الإِسْلَامِ؛ فَقَدْ أَسْلَمَ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَى ظَهَرِ الْأَرْضِ مِنْ مُسْلِمٍ إِلَّا هُوَ وَنَفَرُ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، مِنْهُمْ حَدِيجَةُ بْنُتُّ خُوَيْلِدٍ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَبُو بَكْرِ الصَّدِيقِ، وَعَلَيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبُ الرُّومِيُّ وَالْمَقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ.

لَقَدْ لَقِيَ بِلَالٌ مِنْ أَذْى الْمُشْرِكِينَ مَا لَمْ يَلْقَهُ سِواهُ، وَعَانَى مِنْ قَسْوَتِهِمْ، وَبَطْشِهِمْ، وَغَلَظِ قُلُوبِهِمْ، مَا لَمْ يُعَايِهِ غَيْرُهُ. وَصَبَرَ هُوَ وَمَنْ مَعْهُ مِنَ الْمُسْتَضْعِفِينَ عَلَى الْابْتِلَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، كَمَا لَمْ يَصِيرْ أَحَدٌ؛ فَلَقَدْ كَانَتْ لِأَبِي بَكْرِ الصَّدِيقِ، وَعَلَيُّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَصَيِّيَّةً تَمْنَعُهُمَا، وَقَوْمٌ يَحْمُونَهُمَا، أَمَّا أُولَئِكَ الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الْأَرْقَاءِ وَالْإِمَاءِ؛ فَلَقَدْ نَكَلْتُ بِهِمْ قَرِيشُ أَشَدَّ التَّكْلِيلِ... فَلَقَدْ أَرَادَتْ أَنْ تَجْعَلَهُمْ عِبْرَةً لِمَنْ تُحَدِّثُهُ نَفْسُهُ بِنَبْذِ آلِهَتِهِمْ، وَاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ. وَقَدْ تَصَدَّى لِتَعْذِيبِ هَؤُلَاءِ طَائِفَةً مِنْ أَغْلَظِ كُفَّارِ قَرِيشٍ كَبِيدًا، وَأَقْسَاهُمْ قَلْبًا. فَلَقَدْ بَاءَ أَبُو جَهْلٍ - أَخْرَازَ اللَّهِ - بِإِيَّاهُ «سُمَيَّةَ» فَوَقَفَ عَلَيْهَا يَسْبُّ وَيَرْفُثُ، ثُمَّ طَعَنَهَا بِرُمْحِهِ طَعْنَةً دَخَلَتْ مِنْ أَسْفَلِ بَطْنِهَا، وَخَرَجَتْ مِنْ ظَهِيرَهَا. فَكَانَتْ أَوَّلَ شَهِيدَةً فِي الإِسْلَامِ. وَأَمَّا الْآخِرُونَ مِنْ إِخْوَتِهَا فِي اللَّهِ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ، فَقَدْ أَطَالَتْ قَرِيشُ تَعْذِيبَهُمْ. كَانُوا إِذَا تَوَسَّطَتِ الشَّمْسُ كَبِدَ السَّمَاءِ، وَالنَّهَيَّتْ رِمَالُ مَكَّةَ بِالرَّمْضَاءِ، يَنْزِعُونَ عَنْهُمْ ثِيَابَهُمْ، وَيُلْبِسُونَهُمْ دُرُوعَ الْحَدِيدِ، وَيَصْهَرُونَهُمْ بِأَشْعَعَةِ الشَّمْسِ الْمُتَّقَدِّةِ، وَيُلْهَبُونَ ظُهُورَهُمْ بِالسَّيَاطِيرِ، وَيَأْمُرُونَهُمْ بِأَنْ يَسْبُوا مُحَمَّدًا. فَكَانُوا إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ التَّعْذِيبُ، وَعِزَّزَتْ طَاقَتُهُمْ عَنْ

تَحَمِّلُهُ، يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ فِيمَا يُرِيدُونَهُ مِنْهُمْ، وَقُلُوبُهُمْ مُطْمَئِنَةٌ بِالإِيمَانِ، إِلَّا بِلَالًا - رضي الله عنه وأَرْضاه - فَقَدْ كَانَتْ نَفْسُهُ تَهُونُ عَلَيْهِ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَكَانَ الَّذِي يَتَوَلَّ تَعْذِيْبَهُ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ وَزَبَانِيَّةُ. لَقَدْ كَانُوا يُلْهِبُونَ ظَهَرَهُ بِالسِّيَاطِ؛ فَيَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ، وَيُطْبِقُونَ عَلَى صَدْرِهِ الصُّخُورَ؛ فَيُنَادِي أَحَدٌ.. أَحَدٌ، وَيَشْتَدُونَ عَلَيْهِ فِي التَّكَالِ؛ فَيَهِتِفُ أَحَدٌ أَحَدٌ.. كَانُوا يَحْمِلُونَهُ عَلَى ذِكْرِ الْلَّاتِ وَالْعَزَّى؛ فَيَذْكُرُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَيَقُولُونَ لَهُ: قُلْ كَمَا نَقُولُ. فَيُجِيبُهُمْ إِنَّ لِسَانِي لَا يُحْسِنُهُ.. فَيُزِيدُونَ فِي إِيذَائِهِ، وَيُمْعِنُونَ فِي تَعْذِيْبِهِ.

وَكَانَ الطَّاغِيَّةُ الْجَبَارُ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، إِذَا مَلَّ مِنْ تَعْذِيْبِهِ، طَوَّقَ عُنْقَهُ بِحَبْلٍ غَلِظٍ، وَأَسْلَمَهُ إِلَى السُّفَهَاءِ وَالْوُلْدَانِ، وَأَمْرَهُمْ أَنْ يَطْوِفُوا بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَأَنْ يَجْرُوْهُ فِي بَطْحَائِهَا. فَكَانَ بِلَالُ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ - يَسْتَعْذِبُ الْعَذَابَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيُرَدِّدُ عَلَى الدَّوَامِ نَشِيدَهُ الْعُلُوِّيَّ: أَحَدٌ أَحَدٌ.. أَحَدٌ أَحَدٌ.. فَلَا يَمْلُّ مِنْ تَرْدَادِهِ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْ إِنْشَادِهِ.

\*\*\*

وَقَدْ عَرَضَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ - رضي الله عنه - عَلَى أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ أَنْ يَشْتَرِيهِ مِنْهُ، فَأَغْلَى فِيهِ الثَّمَنَ، وَهُوَ يَطْلُبُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يَأْخُذُهُ.. فَاقْتَرَاهُ مِنْهُ بِتِسْعَ أُوَاقِ مِنَ الذَّهَبِ. فَقَالَ لَهُ أُمَيَّةُ بَعْدَ أَنْ تَمَّتِ الصَّفْقَةُ: لَوْ أَبَيْتَ أَخْدَهُ إِلَّا بِأُوْقِيَّةِ لِيُغْتَهُ. فَقَالَ لَهُ الصَّدِيقُ: لَوْ أَبَيْتَ بَيْعَهُ إِلَّا بِمِئَةِ لَا شَرِيْتُهُ.

وَمَلَّا أَذِنَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، هاجَرَ بِلَالُ - رضي الله عنه - فِي جُمْلَةِ مَنْ هاجَرَ. وَاسْتَقَرَ فِي يَثْرَبِ بَعِيدًا عَنْ أَذْى قُرَيْشٍ، وَتَقَرَّعَ لِنَبِيِّهِ وَحَبِيبِهِ مُحَمَّدٌ، صَلَواتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَكَانَ يَغْدُو مَعَهُ إِذَا عَادَ، وَيَعُودُ مَعَهُ إِذَا صَلَّى، وَيَغْزُو مَعَهُ إِذَا عَزَّا، حَتَّى أَصْبَحَ الْزَّمَ لَهُ مِنْ ظِلِّهِ.

مَا شَيَّدَ الرَّسُولُ ﷺ مَسْجِدًا فِي الْمَدِينَةِ، وَشُرِعَ الْأَذَانُ، كَانَ بِلَالُ أَوَّلَ مُؤَذِّنٍ فِي الإِسْلَامِ. وَكَانَ إِذَا فَرَغَ مِنَ الْأَذَانِ، وَقَفَ عَلَى بَابِ بَيْتِ الرَّسُولِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَقَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ. فَإِذَا خَرَجَ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ حُجْرَتِهِ وَرَآهُ بِلَالُ مُقْبِلًا ابْتَدَأَ بِالْإِقَامَةِ.

لَقَدْ شَهِدَ بِلَالُ مَعَ نَبِيِّهِ «بَدْرًا»؛ فَرَأَى بِعَيْنِهِ، كَيْفَ أَنْجَرَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ جُنْدَهُ، وَشَهِدَ

مَضْرَعُ الطُّفَا، الَّذِينَ كَانُوا يُعَذَّبُونَهُ سُوءَ الْعَذَابِ. وَأَبْصَرَ أَبَا جَهْلٍ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ صَرِيعَيْنِ تَوْشُهُمَا سُيُوفُ الْمُسْلِمِينَ، وَتَهَلَّ مِنْ دِمَائِهِمَا رِمَاحُ الْمَعَذَبِينَ.

وَلَقَدْ ظَلَّ بِلَالُ يُؤَذِّنُ لِلرَّسُولِ ﷺ طَوَالَ حِيَاتِهِ، وَظَلَّ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ ﷺ يَأْنُسُ إِلَى هَذَا الصَّوْتِ، الَّذِي عُذِّبَ فِي اللَّهِ أَشَدَّ الْعَذَابِ، وَهُوَ يُرِدُّ أَحَدً.. أَحَدً.

وَلَمَّا انتَقَلَ الرَّسُولُ الْأَعْظَمُ ﷺ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، وَحَانَ وَقْتُ الصَّلَاةِ، قَامَ بِلَالُ يُؤَذِّنُ فِي النَّاسِ - وَالنَّبِيُّ الْكَرِيمُ مُسَجِّنٌ لَمْ يُدْفَنْ بَعْدُ - فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ: «أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ»، حَنَقَتُهُ الْعَبَرَاتُ، وَاحْتِسَسَ صَوْتُهُ فِي حَلْقِهِ، وَأَجْهَشَ الْمُسْلِمُونَ بِالْبُكَاءِ، وَأَغْرَقُوا فِي النَّحِيبِ. ثُمَّ أَذْنَ بَعْدَ ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَكَانَ كُلُّمَا وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ: «أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ» بَكَى وَأَبْكَى... عِنْدَ ذَلِكَ طَلَبَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَةً رَسُولِ اللَّهِ، أَنْ يُعْفِيَهُ مِنَ الْأَذَانِ، بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَ لَا يَحْتَمِلُهُ، وَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْخُروجِ إِلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمُرَابَطَةِ فِي بِلَادِ الشَّامِ. رَحَلَ بِلَالُ عَنِ الْمَدِينَةِ الْمُنْوَرَةِ مَعَ أَوَّلِ بَعْثٍ مِنْ بُعُوثِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَقَامَ فِي «دَارِيَا» بِالْقُرْبِ مِنْ «دِمْشَقَ».

وَلَقَدْ ظَلَّ مُمْسِكًا عَنِ الْأَذَانِ، حَتَّى قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِلَادَ الشَّامِ، فَلَقِيَ بِلَالًا - رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِ - بَعْدَ غِيَابٍ طَوِيلٍ. وَكَانَ عُمَرُ شَدِيدَ الشَّوْقِ إِلَيْهِ، عَظِيمَ الْإِجْلَالِ لَهُ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ إِذَا ذُكِرَ الصَّدِيقُ أَمَامَهُ يَقُولُ: «أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا، وَهُوَ أَعْتَقَ سَيِّدَنَا» (يَعْنِي بِلَالًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ). وَهُنَاكَ عَزَمَ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - عَلَى بِلَالٍ أَنْ يُؤَذِّنَ فِي حَضْرَةِ الْفَارُوقِ، فَمَا إِنْ ارْتَقَعَ صَوْتُهُ بِالْأَذَانِ، حَتَّى بَكَى عُمَرُ، وَبَكَى مَعَهُ الصَّحَابَةُ، حَتَّى اخْضَلَتِ الْحَسَنَةُ بِالْدُّمُوعِ. فَلَقَدْ أَهَاجَ بِلَالُ أَشْوَاقَهُمْ إِلَى عَهُودِ الْمَدِينَةِ الْمُنْوَرَةِ، سُقِيَاً لَهَا مِنْ عُهُودِهِ.

وَلَقَدْ ظَلَّ دَاعِي السَّمَاءِ يُقِيمُ فِي مَنْطِقَةِ «دِمْشَقَ» حَتَّى وَافَاهُ الْأَجَلُ الْمَحْتُومُ؛ فَكَانَتِ امْرَأَتُهُ تُعْوِلُ إِلَى جَانِبِهِ فِي مَرَضِ الْمَوْتِ، وَتَصْبِحُ قَائِلَةً: وَاحْزَنَاهُ.. وَكَانَ هُوَ يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَيُجِيبُهَا قَائِلًا: وَافْرَاهُ.. ثُمَّ لَفَظَ أَنْفَاسَهُ الْأَخِيرَةَ، وَهُوَ يُرِدُّ:

غَدَا تَلْقَى الْأَحِبَّةِ... مُحَمَّداً وَصَحْبَهُ.

غَدَا تَلْقَى الْأَحِبَّةِ... مُحَمَّداً وَصَحْبَهُ.

(صُورٌ مِنْ حَيَاةِ الصَّحَابَةِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ رَأَفَتِ الْبَاشَا: بِتَصْرِفِ )